العرب
الأربعاء 2019/11/27
السنة 42 العدد 11541

ما يخيف «حزب الله»

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

خلافا لما يرفضه كثيرون ويحاولون إنكاره، إن الثورة الشعبية في لبنان ثورة حقيقية. هذا يعود إلى أنّها مستمرّة منذ السابع عشر من تشرين الأوّل – أكتوبر الماضي، أي منذ نحو ستة أسابيع تقريبا. ليست ستة أسابيع شيئا في تاريخ الثورات والشعوب، لكن الملفت في ما يشهده لبنان هو اتساع رقعة الاحتجاجات لتشمل كلّ المناطق، بما في ذلك مناطق سيطرة "حزب الله"، فضلا عن أنّ هذه الثورة اخترقت الطوائف والمذاهب. وهذا جديد إلى حد كبير، خصوصا أنّه أظهر وعيا مسيحيا من جهة ووجود قسم كبير من شيعة لبنان في خندق آخر غير خندق حزب ليس سوى لواء في "الحرس الثوري" الإيراني.

في أساس الخلل الحاصل في لبنان حاليا والذي بدأ مسيحيون وشيعة يدركونه عجز «التيار الوطني الحر» عن أن يكون شيئا آخر غير تابع لـ«حزب الله»

مثل هذا الاختراق جعل عناصر "حزب الله" تقدم في بيروت قبل أيّام قليلة على ترديد هتاف "شيعة، شيعة" وذلك في وقت كانت هذه العناصر ترشق قوى الأمن والجيش بالحجار. حصل ذلك عند نقطة حساسة هي جسر فؤاد شهاب (الرينغ) الذي يربط بين مناطق عدة في بيروت وله دلالاته الرمزية. هذا الجسر هو جسر بين المسيحيين والمسلمين في العاصمة اللبنانية وكان هناك دائما تركيز على قطعه في الأيّام السود التي مرّ فيها لبنان منذ العام 1975.

الأكيد أن قطع الطرقات ليس مفيدا في أحيان كثيرة، وهو يلعب ضدّ الثورة والثوّار في معظم الأحيان، لكن الأكيد أيضا أن لثورة السنة 2019 نقاط قوّة كثيرة لا تقتصر على أنّها مستمرّة. لعلّ نقطة القوّة الأهم لهذه الثورة بدء تحديدها لمطالب واضحة بدءا بتشكيل حكومة من خارج الطقم السياسي تخلف حكومة سعد الحريري المستقيلة.

لم يعد سرّا أن سعد الحريري يرفض العودة إلى موقع رئيس الوزراء في غياب توافر شروط معيّنة. في مقدّم هذه الشروط أن يكون الوزراء من الاختصاصيين الذين يعرفون المشاكل التي يعاني منها لبنان مثل الكهرباء والمياه والنفايات والبنية التحتية وكلّ ما له علاقة بالفساد والمحاصصة. لا يستطيع سعد الحريري تكرار تجربة الحكومة السابقة التي وصفت من دون وجه حقّ بأنّها "حكومة وحدة وطنيّة". كانت هذه الحكومة نسخة عن مجلس للنواب انتخب بموجب قانون عجيب غريب وضعه "حزب الله" وذلك بهدف واحد هو تعطيل الحياة السياسية في البلد. هذا ما حصل بالفعل بمجرد تشكيل حكومة تعكس صورة مجلس النواب الذي يفترض أن تكون فيه موالاة ومعارضة. صار مجلس النوّاب مجموعة من النواب الموالين المنضبطين الممثلين في الحكومة الثلاثينية الفضفاضة... مع استثناءات قليلة طبعا.

ما اكتشفه اللبنانيون بعد مرور ثلاث سنوات على عهد الرئيس ميشال عون أن هذا العهد على ارتباط عضوي مع "حزب الله". يشبه هذا الارتباط ارتباط بشّار الأسد بالإيرانيين. لا يستطيع هذا العهد إيجاد أي حلّ لأي مشكلة، لا لشيء سوى لأن وزراء "التيّار الوطني الحر" لا يعرفون شيئا عن الملفات التي يتوجب عليهم معالجتها. أكثر من ذلك، عليهم أن يكونوا في تصرّف "حزب الله". هذا ما ظهر جليّا عندما ذهب وزير الخارجية جبران باسيل إلى مجلس جامعة الدول العربية ليتحدّث عن ضرورة عودة سوريا، أي النظام السوري المسؤول عن مقتل ما يزيد على نصف مليون مواطن وتهجير نحو عشرة ملايين، إلى "الحضن العربي". اتبع ذلك بخطاب ألقاه بمناسبة ذكرى 13 تشرين الأوّل – أكتوبر 1990، أي ذكرى إخراج الجيش السوري، جيش النظام، ميشال عون من قصر بعبدا وسيطرته على القصر الرئاسي ووزارة الدفاع اللبنانية في اليرزة. أعلن في ذلك الخطاب وفي توقيت محدّد نيته الذهاب إلى دمشق لمقابلة بشّار الأسد. هل من فضيحة تفوق تلك الفضيحة التي لم يعد ممكنا تسويقها عند المسيحيين، باستثناء أولئك السذج من أشباه الأمّيين الذين لم يقرأوا التاريخ يوما ولم يتساءلوا كيف خرج الجيش السوري من لبنان ولماذا خرج وعلى دمّ من خرج في نيسان – أبريل 2005؟

من الصعب على المنتمي إلى "التيّار الوطني الحر" فهم ما يجري في لبنان، لكنّ الملفت أن الغشاوة زالت عن عيون مسيحيين كثيرين باتوا يعرفون جيّدا أن العهد القائم حاليا هو "عهد حزب الله". من هذا المنطلق، لم يكن مستغربا أن ينزل أفراد من "حزب الله"، المدافع عن عهده، إلى الشارع وأن يهاجم هؤلاء الثوار الذين كانوا يغلقون ما يسمّى بـ"الرينغ" وأن يتسللوا إلى أحياء في المنطقة فيحطمون متاجر ويأخذون منها أشياء ويحطمون سيارات لمجرّد أنّها متوقفة في شوارع معيّنة.

ما ترفضه ثورة لبنان هو مثل هذه التصرفات التي يرحّب بها "التيّار الوطني الحر" للأسف الشديد. لا يقتصر الرفض لمثل هذه التصرّفات على أبناء طوائف معيّنة بل يشمل آلاف الشيعة الذين يشاركون في الثورة. أسماء هؤلاء معروفة. إنّهم مواطنون لبنانيون أوّلا وقبل أيّ شيء آخر. هذا ما يخيف "حزب الله" الذي ليس لديه ما يقدّمه أو يتحدّث عنه سوى "المقاومة". هناك خوف ما ظهر من خلال الشراسة التي أظهرها "حزب الله" في تعاطيه مع الثورة اللبنانية.

نعترف جميعا أن الحزب قاوم إسرائيل وكان له دوره في تحرير الأرض وتنفيذ القرار 425 في أيّار – مايو 2000. هذا كان قبل عشرين عاما تقريبا. ولكن ماذا فعل الحزب منذ ذلك التاريخ؟ ما هي الخدمات التي قدّمها للبنان واللبنانيين؟ هل تكمن الخدمة في اتهامه من المحكمة الدولية بتنفيذ عملية اغتيال رفيق الحريري في الرابع عشر من شباط – فبراير 2005 ثمّ ملء الفراغ الذي خلّفه الانسحاب العسكري والأمني السوري بعد ستة أسابيع من اغتيال رفيق الحريري ورفاقه؟ هل الخدمة في افتعال حرب صيف 2006 ثم الاعتصام في وسط بيروت طويلا لاستكمال عملية القضاء على الاقتصاد اللبناني عن طريق تهجير أكبر عدد من الشباب المتعلّم والواعد من البلد؟

هذا غيض من فيض الخدمات التي قدّمها الحزب إلى لبنان وصولا إلى بلوغ مرحلة صار يسمّي فيها رئيس الجمهورية ويشكّل الحكومة ويفرض القانون الانتخابي الذي يريده، كي يدّعي قاسم سليماني قائد "فيلق القدس" في "الحرس الثوري" أن لإيران أكثرية في مجلس النواب اللبناني.

في أساس الخلل الحاصل حاليا والذي بدأ مسيحيون وشيعة يدركونه عجز "التيار الوطني الحر" عن أن يكون شيئا آخر غير تابع لـ"حزب الله". إن مثل هذا الإدراك يجعل الثورة الشعبية في لبنان ثورة نقيّة تعرف من أين تبدأ الخطوة الأولى نحو الإصلاح. الخطوة الأولى تكون بتشكيل وزارة من الخبراء والاختصاصيين النظيفي الكفّ الذين همّهم لبنان وليس حماية مصالح إيران حيث النظام في خصام مع شعبه...

تنتصر الثورة في لبنان حين تنتصر جنوبا

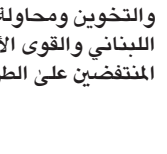

عديد نصار
كاتب لبناني

ليس غريبا، ولا غير متوقع، هذا الهجوم المضاد الذي شنه حزب الله على الثورة اللبنانية خلال ليلتين هذا الأسبوع بواسطة المئات من المتهيجين مذهبيا المنفلتين من كل عقال، على ساحات اعتصام الثوار في بيروت وفي الجنوب، وربما لاحقا في أماكن أخرى في لبنان.

فمنظومة الفساد والنهب، التي ثار عليها اللبنانيون والمتحكمة بمؤسسات الدولة وبكل مفاصل إداراتها وموارادها، باتت منذ سنوات تحت هيمنة حزب الله وفي خدمة مصالحه وأجنداته داخليا وخارجيا. وحزب الله قام على أيديولوجيا مذهبية متعصبة وبها يستمر وتستمر هيمنته على المنظومة الطائفية في نظام المحاصصة والفساد، الذي قام ولا يمكنه أن يستمر إلا بالطائفية.

فكيف يقبل المهيمن بسلاحه وبمذهبيته الطائفية وبحلفائه الطائفيين أن ينهض شعب لبنان بكل ما تعنيه كلمة شعب؟ وكيف يقبل أن يخرج من عباءات الطوائف والزعماء الطائفيين "المقدسة" إلى رحاب الوطن محطما كل الحدود الطائفية، التي رسمها هؤلاء لفرض سيطرتهم، والتي بها يدوم سلطانهم على الناس والبلاد ويورثونه للأبناء والأحفاد؟

كان متوقعا أن ينبري حزب الله لشن هجومه المضاد على الثورة بواسطة عصابات التشبيح التابعة له ولحلفائه في حركة أمل والتيار الوطني الحر بعد أن يستنفد كل محاولات الترهيب والتشهير والتخوين ومحاولة زج الجيش اللبناني والقوى الأمنية في سحق المنتفضين على الطرقات وفي الساحات من خلال ممارسة أقصى الضغوط على قياداتها.

لكن هذه المحاولات فشلت جميعها، فكان لا بد من إطلاق المئات من المتهيجين المنفلتين في محاولة لترويع المتظاهرين في الساحات، والاعتداء عليهم وتحطيم خيمهم وممتلكاتهم. فكان ما شهدناه في الليلتين الماضيتين، حتى وصل الأمر بهؤلاء البلطجية إلى تكسير سيارات المواطنين أمام بيوتهم أثناء اختراقهم للشوارع والأحياء السكنية، إضافة إلى تحطيم واجهات المحلات والاعتداء بالحجارة على الشقق السكنية وإحراق عدد من السيارات.

وفي مواجهة النشيد الوطني اللبناني، الذي أنشده الثوار (كلنا للوطن)، كان هتاف الشبيحة "شيعة، شيعة، شيعة" إضافة إلى الهتافات المؤيدة لحسن نصرالله ونبيه بري. الرسائل التي أرسلها حزب الله من خلال تلك الهجمات الليلية كانت في عدة اتجاهات، الأول وهو الأهم للطائفة الشيعية وتقول فيه أن لا مكان لكم خارج العباءة المذهبية بقيادة حزب الله وحركة أمل، وكل من يخرج من تحت هذه العباءة لن يسلم.

فقد هال قيادة حزب الله أن ترى الآلاف من المواطنين الشيعة الذين حررتهم ثورة 17 أكتوبر، فقاموا منذ اليوم الأول بمحاولة تنظيف الجنوب اللبناني من صوَر زعماء حركة أمل وخصوصا صوَر رئيس الحركة ورئيس مجلس النواب نبيه بري وصوَر نواب حزب الله وحركة أمل وأعلامها ويافطاتها وهجومهم الكبير على مكاتب ومنازل هؤلاء النواب في قرى ومدن الجنوب اللبناني، فكان الخطاب الأول لزعيم حزب الله بعد يومين وكانت تهديداته ورفضه القاطع لكل ما يشير إلى سقوط المنظومة الطائفية الحاكمة، بدءا من الحكومة وصولا إلى مجلس النواب الذي طالب الثوار بتقصير ولايته وإجراء انتخابات تشريعية مبكرة.

السيناريوهات متشابهة في لبنان والعراق وإيران ويقودها مايسترو واحد هو قاسم سليماني، ولو تباينت الأساليب وفق تباين الظروف المحلية

أما الرسالة الثانية فكانت للداخل اللبناني وللثوار أنفسهم، وهي تقول إن اللبنانيين ليسوا سوى تجمع طوائف ومذاهب ولا يمكن أن يصيروا شعبا. من هنا كانت محاولات الاحتكاك مع منطقة الأشرفية ذات الأكثرية المسيحية ومع طريق جديدة ذات الأكثرية السنية، لاستجلاب ردود أفعال طائفية تعيد الناس إلى ما قبل 17 أكتوبر.

الرسالة الثالثة كانت للخارج، الذي بدأ يتوجه ببلوماسيته إلى السلطة اللبنانية ويحاول الضغط عليها لتشكيل حكومة "تحظى بثقة اللبنانيين". ويرهن بذلك المطلب مساعداته المالية لإنقاذ الوضع المالي والاقتصادي المتدهور، الذي وصلت البلاد والدولة إليه بسبب سياسات المنظومة التي يحميها حزب الله ويريد إعادة إنتاجها كأن شيئا لم يكن. هذه الرسالة تقول: لا حكومة في لبنان خارج هيمنة حزب الله الذي يمكنه خلال ساعات اجتياح بيروت وسائر المناطق اللبنانية وجعل الثورة التي مضى عليها أربعون يوما وكأنها لم تكن. وبالتالي على الدول الأوروبية والخارج عموما أن يتعاطى مع الشأن اللبناني على هذا الأساس.

لا شك أن أحداث اليومين الأخيرين، التي قادها حزب الله في بيروت والجنوب تأتي في موازاة محاولة نظام مافيا ملالي طهران إنهاء انتفاضة الشعب الإيراني وطي صفحتها باستخدام القتل والاعتقال، حيث سقط المئات من القتلى وزج بأكثر من عشرة آلاف في المعتقلات. كما أنها تترافق مع ما يجري من محاولات لقمع الانتفاضة العراقية وإنهائها بمختلف أشكال القمع والالتفاف والادعاءات السياسية الفارغة بتقديم تنازلات في مجالات الإصلاح ومحاربة الفساد.

السيناريوهات متشابهة يقودها مايسترو واحد هو قاسم سليماني، ولو تباينت الأساليب وفق تباين الظروف المحلية.

هل مازال خافيا على البعض أن حزب الله هو راعي منظومة الفساد المسيطرة وحاميها؟ وهل هناك من لا يزال يخدع النفس ويخدعه حزب الله بتلطيه خلف شعار المقاومة؟ وهل تبين للبعض أن حزب الله لم يسحق المقاومة الوطنية ويحتكر العمل المقاوم في زمن الاحتلال الإسرائيلي إلا ليوظف هذا الشعار في ركوب الطائفة الشيعية وفي استعمال المقاومة كسلاح في وجه كل من يعترض على سلوكه وأجندات أسياده في طهران، وفي الهيمنة الطائفية داخليا على نظام سيطرة المافيات، الذي لا يقوم إلا بالطائفية ولا يستمر إلا بها؟

الثوار في لبنان لن يخضعوا لأي ابتزاز أو قمع. وهم يدركون جيدا أن الثورة ليست بنزهة أو كرنفال، لكن الثورة لن تحقق كافة أهدافها ما لم تنتصر جنوبا

الثوار في لبنان لم يستسلموا ولن يتخلوا عن ثورتهم وعن مواجهتهم المستمرة منذ اثنين وأربعين يوما لمنظومة الفساد مهما ارتفع صوت المتهيجين طائفيا. ولن يخضعوا لأي ابتزاز أو تهويل أو قمع. وهم يدركون جيدا أن الثورة ليست نزهة أو كرنفال، وأن درب النضال طويل طويل. لكنها لن تحقق كافة أهدافها ما لم تنتصر جنوبا.